التناص القرآني في الشعر العربي الحديث
دراسة حالة
(محمود درويش، وأمل دنقل ، وأحمد مطر)

إعداد الدكتور الصادق آدم عمر

*** أستاذ الأدب والبلاغة المشارك بجامعة السودان المفتوحة**

رئيس قسم اللغة العربية

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الملخص :
ظاهرةَ التناصّ الديني والتفاعل مع النصوص القرآنية مِن التقنيات الأسلوبية التي حفل بها الشعر العربى المعاصر. وبما تمتلكه هذه الظاهرة من مِصْداقيَّة وحُظْوَة في توسيعِ فضاءات المعنى في النصّ الشعري، تعمّق الشعر وتجعله مفتوحاً على التأويل والتفسير في الذات الإنسانية، فإنّ فضلاً عن دورها في قداسةِ كلام الشاعر في سياقه الجديد. وبالإجمال إنتاج دلالة مؤازرة للنص بالتضمين أو بالتلميح، هذا مِنْ جهة، ومِنْ جهة أخرى ظهر خلال السنوات الأخيرة في التناصّ القرآني في الشعر العربي، ما لا يراعي الشأن القرآني المقدّس كما ينبغي. تهدف هذه الدراسة إلى معالجة ظاهرة التناصّ القرآني ونقده في نماذج مختارة من شعر المقاومة في فلسطين ومصر والعراق تمثّلت في أعمال شعرية لثلاثة شعراء : محمود درويش وأمل دنقل واحمد مطر . ومن النتائج التي خرجت بها أنّنا نرى أحياناً تجاوز حدود اللياقة في التعامل مع النص القرآني للشعراء الثلاثة وبخاصة درويش ودنقل .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تقديم:
تتراشح النصوص وتتجاور فتتعالق وتتنوّع وتتعدّد ضمن النص الواحد مستوعبة إياه في نصية جامعة. كما تتنوّع الإحالات المرجعية فيه متفاعلة في ما بينها مشكّلة أهمّ مكوّنات الخطاب في العمل الأدبي، سيّما النصوص الشعرية لما تنطوي عليه من إيحاءات دلالية ووظيفية ولما ترشح به من أبعاد فنية ومرجعية.

فالنص الشعري هو نسق لغوي قابل للإنجاز والتأويل، والقراءة النموذجية الوجيهة هي التي يمكنها أن تقف على النص في علاقات بنصوص أخرى، فالنص يتمثل ويفهم على نحو علائقي موصول بنصوص أخرى تتفاعل فيما بينها.

وينهض التفاعل النصي على استدعاء النصوص السابقة في نص لاحق للتفاعل معها وإعادة إنتاجها من جديد. فالقراءة التناصية لا تعتبر النص كلاّ منجزا تاما مستقرّا مكتفيا بذاته بل تعتبره حوارية وتفاعلا وتعالقا مع نصوص أخرى.

وظاهرةَ التناصّ الديني والتفاعل مع النصوص القرآنية مِن التقنيات الأسلوبية التي حفل بها الشعر العربى المعاصر وبما تمتلكه هذه الظاهرة من مِصْداقيَّة وحُظْوَة في توسيعِ فضاءات المعنى في النصّ الشعري، فهذه الظاهرة تعمّق الشعر وتجعله مفتوحاً على التأويل والتفسير في الذات الإنسانية، فضلاً عن دورها في قداسةِ كلام الشاعر في سياقه الجديد.

وظهور التناص في الشعر المعاصر يدلعلى ثقافة شمولية وظفها االشعراء في مقاصدهم وتطلعاتهم وأفكارهم الشعرية بشكل واسع . وبهذا الصدد فقد تعددت آليات التناص الديني. وحين الحديث عن مصادر التراث الديني، فمن الطبيعي الحديث عن تلك المصادر الأصلية منها والفرعية ، ويعد القرآن الكريم المصدر الرئيس الذي ينهل الشاعر منه قيمه وأفكاره وكلماته دون أن يكون هذا سبباً في محدودية المصادر التي اعتمد عليها. فيشكل التواصل بالنصوص القرآنية ركناً أساسياً من أركان التواصل بالموروث الديني الذي يمنح النص الشعري ثراءً وغنى ، ويفتح أمامه مجالات واسعة من التحليل والتأويل.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن الملاحظ أنَّ التعامل المقبول مع النصوص القرآنية يرقى بالشعر إلى مستويات عالية ورفيعة ويحلق به من السطحية إلى آفاق أرحب وأوسع من التأويل والتفسير، كما أنَّالتعامل المرفوض مع هذه النصوص يحط من مكانة الشعر وقيمته ، فكثيراً ما يوظف الشعراء النصوص القرآنية توظيفاً فيه مسحة جمالية ، وذلك كي يمنحوا قصائدهم مذاقاً جيداً.

وأحياناً يأتي هذا التوظيف في غير محله. فبعض الشعراء يوظف القرآن الكريم وغيره من الكتب المقدسة توظيفاً جيداً ومناسباً ومنهم من لا يستطع بلوغ مراد القرآن الكريم ، وبناءً عليه فإنه يستحضر النصوص القرآنية في غير محلها فيأتي عمله الشعري ناقصاً لا بلاغة ولا جمال فيه وبعبارة أخرى، قد نرى تبايناً في التعامل مع النصوص القرآنية عند الشعراء فإذا أحسن التعامل مع النصوص القرآنية فعندئذٍ يحس القارئ بوجود علاقة بين النصين، وأما إن أخفق في ذلك وكان تعامله مع النص القرآني سطحياً منع لاً عن شأن القرآن ومعانيه الحقيقية فحينئذٍ يفقد الشعر رونقه وجماله.

وإذا تصفحنا كتب الأدب العربي نلحظ أن بعض الكتاب قد اتجهوا لدراسة ظاهرة التناص في الشعر العربي المعاصر وبخاصة في الشعر الفلسطيني: كمقالة " التناص الديني في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة "[70]، ومقالة " التناص الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر"[71] ، وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على التناص في أعمال محمود درويش الشعرية . وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة ظاهرة التناص القرآني معالجة نقدية في نماذج مختارة من شعره.

المبحث الأول :

المقصود بكلمة التناص لغة واصطلاحاً :

التناص لغة : وردت كلمة التناص في لسان العرب بمعنى الاتصال، كما وردت في معجم تاج العروس بمعنى الانقباض والازدحام، وهو معنى يقترب من التناص بمفهومه الحديث الذي يُشير إلى تداخل النصوص فيما بينها... فالتناص هو ترجمة للمصطلح الفرنسي Intertexte و تعود في أصولها إلى الفعل اللاتيني textere و يعني نسج أو حبك.

---

[70]-حمدان، عبد الرحيم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ،مج3، العدد3 .

[71]- بركة، نظمي، مجلة فكر وإبداع ، العدد23 .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وأما اصطلاحاً: فإن التناص ميزة نصية أساسية تأخذ النص من تفرده إلى علاقات و تداخلات مع نصوص أخرى، حيث لا يخلو نص من نصوص تدخل في نسيجه سابقة له أو معايشة (في نفس الزمان). و ترى جوليا كريستيفا أن كل نص هو عبارة عن فُسيفساء نصوص من نصوص أخرى، ويعتبر التناص عندها إحدى ميزات النص الأساسية التي تطل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها.

وقد ظهر هذا المصطلح "التناص" في حقل النقد العربي الحديث بعدة صياغات وترجمات نختصرها في التناص،التناصية،النصوصية،تداخل النصوص، تعالق النصوص، النص الغائب ،العبر نصية، النصوص المهاجرة... و إذا بحثنا عن جذور هذا المصطلح تعود إلى الشكلانيين الروس مع تشكولفسكي الذي ظهر على يده،ثم إلى(باختين) الذي كان أول من صاغ نظرية في تعدد القيم النصية المتداخلة إلا أنه لم يستعمل لفظة تناص بل وظف سياقا آخرا يقاربها مثل تداخل السياقات،التداخل السوسيو- لفظي، ويرى أنه لا يوجد تعبير لا تربطه علاقة بتعبير آخر،كما يقر بصعوبة التمييز بين الخطابات المختلفة داخل الخطاب الواحد.

وهناك شبه إجماع من الدارسين المعاصرين على "أنَّ النص الشعري يتشكل من مجموعة نصوص تتداخل وتتشابك ، وهذا ما صرحت به جوليا كرستيفا وغيرها من الشكليين من" أن التناص هو أحد مميزات النص الأساسية والتي تحيل مجموعة نصوص أخرى سابقة عليها أو معاصرة لها "[72] .

وبناءً على ما تقدم فإن" التناص يشكل أسلوباً شعرياً فاعلاً في بناء النص خاصة إذا استثمر الشاعر هذه الطاقة الكامنة ، واستطاع إدماجها فيه ، بحيث تغدو من لحمته ، تعبر عن رؤيته وتفصح عن موقفه "73 ، إذ أنه في أبسط تعريفاته تداخل للنصوص بمعنى: " أن يتضمن نص ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه ، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة إليه أو ما شابه ذلك المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندرج هذه النصوص مع النص الأصلي ليتشكل نص جديد متكامل"[74].

---

[72] - كرستيفا،، جوليا، **علم النص**،ص14.

[73] - الزيود، عبد الباسط، **المتوقع ولا المتوقع في شعر محمود درويش**، " دراسة في جمالية التلقي "،مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ص436.

[74] - الزعبي ، أحمد، **التناص نظرياً وتطبيقياً**،ص57.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والحديث عن مصادر التراث الديني يشمل مصادر عدة في طليعتها القرآن الكريم الذي يمثل المصدر الأساسي والأول من مصادر التشريع الإسلامي ، وهذا يعني أنه يمثل الملهم الأساسي والأول للشاعر الذي ينهل منه الشاعر قيمه وأفكاره ومعانيه، فالتواصل مع النص القرآني يكون حيث يرى ويحس الشاعر ضرورة توظيف النص لتدعيم موقف معين أو خلع القداسة عليه "[75]، كما هو الحال في شعر المقاومة.

وفي الوقت الذي استعان فيه الشعراء الغربيون بالموروث الاسلامي في غير مرة ، وفي أكثر من حالة منها على سبيل المثال موقف الشاعر الايطالي دانته لحديث المعراج النبوي في الكوميديا الإلهية"[76] ، وكذلك موقف الشاعر الفرنسي(فيكتور هيجو) منالقرآنالكريم، حيث استمد منه الكثير من الموضوعات الأدبية[77] " ، فكانمن الطبيعي أن يكون هذا التراثمن المناهل التي نهل منها الشعراء المسلمون وخاصة شعراء المقاومة .

لذلك يشكل التفاعل مع النصوص القرآنية في شعر المقاومة جانباً مهماً من جوانب التناص الكثيرة والمتنوعة. و في إطار المطارحات النقدية العربية ، تم تداول المفاهيم المرتبطة بالتناص، وإنْ باختلاف المسميات، مع التأكيد على المشابهة في الدوافع التي تعود في مجملها إلى أن المعاني التي يعبر عنها الشاعر قد استهلكت - على حد قول م- ومتى ما أتعب الشاعر فكره وخاطره، واجتهد في تحصيل معنى ظنه غريباً مخترعاً ، ثم تصفح الدواويين عنه فإنه – لا ريب إذا استثمر الشاعر هذه الطاقة – وجده بعينه أو بشبيه له "[78] .

و" المتأمل في المؤلفات النقدية العربية القديمة يجد أنها صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه وضعت تحت مسميات عدة كلها تكاد تقترب من المصطلح الحديث يعني التناص. وإذا حاولنا في تلمس جذور التناص في النقد العربي فإننا نظفر بكثير من المصطلحات التي أشبعها النقاد تمحيصاً وأولوها اهتمامهم، فقد تناول

---

[75] - هلال، عبد الناصر،أطروحة دكتوراة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس.

[76] - غنيمي هلال، محمد، **الأدب المقارن**، ص153.

[77] - عشري زايد، علي، استدعاءالشخصياتالتراثية في الشعرالعربي المعاصر، ص96 .

[78] - الآمدي، أبوالقاسم الحسن بنبشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ج1، ص138 . وصادق عيسى الخضور ، التواصلبالتراث في شعرعزالدين المناصرة"، ص105.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بعض المصطلحات التي تعد في صميم التناص كالسرقة[79] والاقتباس[80] والمعارضة[81] ، فكل تلك الدراسات تعكس شكلاً من أشكال التناص " [82].

وخلاصة القول فإن التناص من أبرز التقنيات الفنية التي عني بها أصحاب الشعر الحديث ، واحتفوا بها بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراء وغنى ، ويسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة "[83] ، فالتناص عبارة عن تداخل النصوص ، أي توظيف الشاعر لمقتبسات من نصوص تراثية مختلفة في نصه الشعري ، يحمل هذا النص دلالات وإشارات بهدف توصيل رسائل معينة ليؤدي وظيفة مهمة هي توسيع أفضية المعنى في النص الشعري " [84]. والتناص القرآني أحد هذه الأفضية يفتحها كثير من الشعراء المعاصرين في وخاصة شعراء المقاومة في قصائدهم .

المبحث الثاني :

---

[79]- جاء على لسان ابن رشيق " السرق في الشعر ما نقل معنا ه دون لفظه وأبعده في أخذ "ابن رشيق ٢/٢٨٢: وقد جرى حوار معمق بين النقاد العرب حول علاقة السرقات بالتناص، ففي الوقت الذي رأى البعض أن السرقة مصطلح مختلف عن التناص، رأى آخرون أن العرب عرفوا التناص ولكنهم لم يصيغوا هذا المصطلح. (مرتاض 8/1).

[80]- هو من أكثر المصطلحات التراثية التصاقاً بالتناص[80] . فالاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه شيئاً يرتبط مدلوله اللغوي بعملية الاستمداد التي تتيح للمبدع أن يحدث انزياحاً في أماكن محدودة من خطابه الشعري، يهدف إفساح المجال لشيء من القرآن. عبد المطلب، 163.

[81]- من المصطلحات القريبة إلى مفهوم التناص المعارضات التي تعني أن ينظم شاعر قصيدة على منوال قصيدة أخرى لشاعر آخر، يتفق معه في وزنها وروييها وبعض معانيها أو بعض أغراضها سواءً أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين. رأى بعض النقاد أن ليس كلّ المعارضات تتدرج تحت التناص، فكثيرة هي المعارضات التي تحتذى إعجاباً أو استحساناً كمعارضات البارودي وحافظ، فجميع تلك المعارضات محاكاة لا غناء فيها. (عيد، 181)

[81]- الكلامي، ناجية مولود، " التناص القرآني في الشعر الليبي الحديث) علي الفزاني ومحمد الشلطامي وادريس بن الطيب أنموذجاً) مجلة الساتل ، ص145.

[82]- الكلامي، ناجية مولود، " التناص القرآني في الشعر الليبي الحديث (علي الفزاني ومحمد الشلطامي وإدريس بن الطيب أنموذجاً)"، مجلة الساتل ،ص ١٤٥ .

[83]- جابر، ناصر، "التناص القرآني في الشعر العماني الحديث "، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 21.

[84]- الكلامي، ناجية مولود، " التناص القرآني في الشعر الليبي الحديث (علي الفزاني ومحمد الشلطامي وإدريس بن الطيب أنموذجاً)"، مجلة الساتل ،ص 143 .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أنواع التناص فى الشعر العربي وعلاقة الآيات القرآنية بعلم لغة النص

1- أنواع التناص فى الشعر العربي

لما كانت ظاهرة التناص في الشعر العربي الحديث تُشكل بعداً فنياً وإجراءً أسلوبياً يكشف عن التفاؤل بين النصوص الحديثة والقديمة أو التقاء بين الحضارات إذ يتم استدعاء النصوص بأشكالها المختلفة على أساس وظيفي يُجسد التفاعل بين الماضي والحاضر، و إذا كان الدارسون قد أجمعوا على أنه لا يخلو نص من نصوص أخرى، يتناسل معها فتتكاثر، فإن ما يهم القارئ المُتلقي لهذه النصوص المتناصة هو كيفية توظيف النص الوافد ليصبح جزء أساسيا من نسيج النص أو لبنة من لبناته لا أن يكون نشازاً أو غريباً عن النص المستقبل.

2- الآيات القرآنية وعلم لغة النص

يمكن دراسة العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة من خلال اللسانيات النصية، أو علم لغة النص؛ والبحث عن نصية النص يمكن أن تتضح أو تتحقق من خلال اشتمال النص على سبعة معايير تحقق له نصيته وهي معايير: السبك أو الترابط النحوي، والحبك أو التلاحم الدلالي، والقصدية، والقبول، والإخبارية، والمقامية، ثم التناص، وهو الوسيلة التي اتخذها الشعراء للتعبير عما يجول في خواطرهم من آراء وأفكار .

وإذا كان التناص قد ارتبط بالنقاد الغربيين خاصة "جوليا كريستيفا" -المنظِّرة الأولى له- فإنني أرى أن التناص بمفهومه الذي يدور حول حضور نص في نص آخر، إنما هو مفهوم وَعَتْه الذاكرة التراثية العربية في أمرين:

أولهما: يراه الباحث ماثلاً في ظاهرة من ظواهر النظم القرآني عند ابن فارس (ت395هـ) في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، وهي ظاهرة "الاقتصاص" الذي عرفه بقوله: "أن يكون كلام في سورة مقتصًّا من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها"؛ فالاقتصاص بهذا المفهوم هو الصورة التراثية للتناص في اللسانيات النصية المعاصرة.

وثانيهما: ما عُرف في التراث العربي بالسرقات الشعرية، وما ارتبط بها من مصطلحات مثل: التضمين، والاقتباس، والمعارضة، وغيرها من المصطلحات التي دارت في فلك السرقات الشعرية، وهذا هو رأي الدكتور عبد الملك مرتاض في دراسته عن فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، والدكتور محمد عبد المطلب في دراسته عن التناص عند عبد القاهر الجرجاني، والحسن بواجلابن في دراسته عن التناص من منظور حازم القرطاجني. وهو رأي جيرار جينيت كما سبق ذكره.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث :
العلاقة بين الاقتصاص والتناص

وفي ضوء العلاقة بين "الاقتصاص" و"التناص" فإن القرآن الكريم قد اشتمل على ظاهرة التناص الداخلي بين آياته الكريمة عندما استحضر بعض نصوص الآيات الكريمة -كلمة أو جملة، أو بعض جملة- في نصوص آيات أخرى في السورة الواحدة، أو في سورة أخرى، وهو مفهوم الاقتصاص، أو ما يحتاج إلى بيان ويكون بيانه في السورة نفسها، أو في سورة أخرى لوجود علاقة ما بين النصين المقتص والمقتص منه، أو النص المحتاج إلى بيان والنص الذي يحقق هذا البيان.

وعند دراسة باب الاقتصاص والتناص عند ابن فارس -"الاقتصاص، وباب ما يحتاج إلى بيان ويكون بيانه في السورة نفسها أو في سورة أخرى"- توصل الباحث من خلال الإفادة من علوم المكي والمدني وأسباب النزول إلى أشكال العلاقة الرابطة بين هذه النصوص القرآنية الكريمة كعلاقات العموم والخصوص، والإجمال والتفصيل، والسبب والنتيجة، وغيرها من العلاقات التي ترتبط بالتراث البلاغي العربي عامة والقرآني خاصة، مما يعني عدم انفصال الباحث عن هذا التراث الذي يُعلي من شأنه وقيمته.

وكذلك فإن باب المتشابهات القرآنية يرتبط كذلك بموضوع التناص من حيث إن هذا الباب يشير إلى وجود تشابه وتناظر بين ألفاظ القرآن الكريم -كما يذهب الإمام الكسائي (ت 189هـ) في كتابه "متشابه القرآن"- أو أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء - كما يقول الإمام الزركشي (ت 794هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وتابعه فيه الإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وهذا التعريف الأخير أقرب الصور التراثية للتناص.

كذلك فإن علم " الوجوه والنظائر القرآنية" يتصل بصورة أو بأخرى بمفهوم "التناص"؛ لأن هذا العلم يدور حول مجيء الكلمة الواحدة في مواضع من القرآن الكريم في لفظ واحد وحركة واحدة مع اختلاف الدلالة في كل مرة، وهو آية من آيات الإعجاز القرآني؛ إذ لا يستطيع أيُّ إنسان مهما أُوتي من البلاغة والفصاحة أن يستخدم الكلمة في وجوه متعددة يزيد بعضها في أحيان كثيرة على عشرين وجهًا.

والكلمة الواحدة في اللسانيات النصية تشكل بذاتها نصًّا يتداخل مع نصوص أخرى، فسطح النص -عند " دوسوسير"- مكوكب تبنيه وتحركه نصوص أخرى حتى ولو كانت مجرد كلمة، وهو ما يعني ارتباطها بالتناص أو بالتداخل النصي الذي يشير إلى التواجد اللغوي لنصٍّ في نصٍّ آخر عند "جيرار جينيت"، هذا التواجد

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يستدعي - وبصورة أكثر وضوحًا- نظرية السياق؛ باعتباره واحدًا من معايير اللسانيات النصية، ورعايته في باب الوجوه والنظائر القرآنية يسهم في تشكل العلاقة بين الآيات الكريمة التي يرد فيها اللفظ بوجوهه ودلالاته المتعددة.

وعلى هذا فإن من بين وجوه الإعجاز القرآني قدرته على استيعاب كل المناهج والمداخل البحثية التي يمكن أن يدرس من خلالها، وهو ما يؤكد عظمة هذا القرآن الكريم، وأن تعدد دراسته على هذا النحو، إنما هو صورة من صور حفظه الذي تكفل به ربنا تبا ك وتعالى.

المبحث الرابع :

أشكال التناص في الشعر المعاصر ومقاييس الاقتباس القرآني في الشعر :

أولاً: أشكال التناص في الشعر المعاصر

تنحصر أشكال التناص الشعري في الشعر المعاصر في ثلاثة أنواع هي :

1- الاجترار: وهو تكرار للنص الغائب من دون تغيير،أي أن الشاعر يكتفي بإعادة النص مثلما هو أو بإجراء تعديل طفيف لا يمس جوهره وعادة يتم على مستوى النص الديني لما يحظى به من تقديس و احترام،ليأتي في الدرجة الثانية النص الأسطوري،مثل نص عبد الوهاب البياتي :

"...و صياح ديك فر من قفص، وقديس صغير
"ما حك جلدك مثل ظفرك"
و الطريق إلى الجحيم
من حبة الفردوس أقرب والذباب
و الحصادون المتعبون
زرعوا ولم نأكل
و نزرع صاغرين فيأكلون..."

2- الامتصاص: وهو شكل أعلى وأكثر قدرة على خلق شعرية في النص الجديد حيث يتعامل الشاعر مع النص المتناص تعاملا حركيا تحويليا لا ينفي الأصل،بل يسهم في استمراره جوهرا قابلا للتجديد ، أي أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب و لا ينقله بل يعيد صياغته من جديد وفق متطلبات فكرية وتاريخية وجمالية،ونجد هذا في قول الشاعر البياتي من قصيدته"الموت في الحب" في قوله:

أيتها العذراء
هزي بجزع النخلة الفرعاء

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يتساقط الأشياء
تتفجر الشموس والأقمار...

حيث يمتص هذا النص الآية القرآنية:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } سورة مريم/25.

3- التحوير: و يعتبر هذا النوع من أنواع التناص أعلى مرحلة من مراحل النص الغائب، فالشاعر يقوم بتغيير للنص المأخوذ (المُتناص) بأن يُحدث عليه تغييرا عن طريق القلب أو التحوير"85 والحوار أو القلب أو التحوير...هو الصيغة الأكثر شيوعا في التناص، نمثل لذلك من خلال قصيدة الحيدري بعنوان "حوار عبر الأبعاد الثلاثة" في قوله:

"العدل أساس الملك"
ماذا.....؟
العدل أساس الملك
صه.....لا ت ك
كذب...كذب...كذب
الملك أساس العدل

ثانياً: مقاييس الاقتباس القرآني في الشعر

تبقى المقاربة النقدية للأعمالالأدبية في كلّالعصور لها تأثير وحضور واضحين، بغض النظر عنطبيعة ذلك التأثير وذلك الحضور. وفي ذلك السياق " تتعدد وجهات النظر في مقاربة الأعمال الأدبية إلى توجهات عديدة، منها ما يحاول الإلتزام بحدود معينة "[86].

وفي هذا المجال" تعد العلاقة التفاعلية التي تجمع بين الشاعر والموروث الديني، التي تتضح في محاكاته لأسلوب الخطاب الديني ومضامينه ولغته وشخوصه أمراً طبيعياً، لما يشكله هذا الموروث من عنصر م م و ا ت في تكوين الشخصية الإبداعية، التي تعد وليدة البيئة والثقافة المحيطة بها، حيث تكتسب منها ملامحها وتكتمل، وإليها تعود لتذوب وتتفاعل باحـة عن أسرار الذات وتجلياتها الشعورية العميقة"[87].

---

[85]- وعد الله ، ليديا، **التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة**، ص37.

[86]- ضرغام، عادل، **في تحليل النص الشعري**، ص 5 ،

[87]- خواجة، علي‌حسن، (استحضارالغائب): قراءة في منجز شهاب محمد الشعري ٢ tolga.maghrebarabe.net alukah.net/Literature_Lan)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وبما أنَّ "القرآن ذ ل باللفظ والمعنى، ولأنه معجز بنصه وبيانه ؛ فيترتب على ذلك مراعاة كلِّ الوسائل والأساليب التي تؤدي إلى المحافظة عليه، وحمايته من أي تحريف أو تبديل أو خطأ في الفهم والتأُويل. ومن ذلك الالتزام بمعنى اللفظ القرآني حسب السياق الذي وردفيه؛ فلا نعزله عن سياقه وتلتمس له دلالات ومعاني أُخرى يتسع لها إذا كان مفرداً مستقلاً ، وإنما يتحتم إذا اقتبسنا أحد ألفاظ الكتاب العزيز أن نحا ظَ على دلالة المناسبة لموضعه من الآية والسورة ، وأن نورده في مو ف مشابه وموافق لتلك الدلالة .

ومن هنا كان على الناقد الدارس أن يبين مدى مخالفة الشاعر أحياناً للمعنى القرآني عندما يكون قد اقتبس لفظاً أو عبارةً قرآنيةً[88] ، لا يصح قبولاً واستساغة تأويل وتفسير يعارض القرآن؛ ذلك أنَّ المبدأ أو الحكم أو الرأي الذي تؤيده آيات القرآن يحظى على الفور بصفة استحقاق القبول من جماهير المسلمين ، كما أن الرأي الذي تعارضه آيات القرآن مكانه هو الرفض المطلق من جماهير المسلمين وعلمائهم ، أما الرأي الذي يعجز أصحابه عن تأييده بآيةٍ من آيات القرآن ؛ فإن عجزهم دلالةً أكيدة على بعد هذا الرأي عن روح الإسلام ومقرراته "[89] .

والحقيقة أن ّالتناص آلية فاعلة في تطور الكتلة اللسانية وتعمقها، وهو يشمل كل مستويات الكلام من أدب ولغة ومظاهر لهجية . وإذا كان الشعر هو فعلاً إبداعياً خلاقاً ، ورؤية فنية خاصة بالشاعر ، فلا يعد ذلك أنها جاءت بصورة اعتباطية، خاصة بالنسبة للاقتباس من القرآن الكريم . وإذا رغب الشاعر باستثمار آيات القرآن الكريم في شعره ، وإحداث تناص بينها فعليه والحالة هذه أن يتعامل مع النص القرآني بما يتناسب وقدسيته، فلا يتعامل معه كما يتعامل مع نص شعري أو نص أدبي ، فمن هنا لا يجوز الاقتباس من القرآن الكريم في المجالات الآتية :

1- حديث الله عن نفسه فلا يجوز لإنسان أن ينسبه إلى نفسه .
2- مواطن الاستخفاف والاستهزاء والسياق الهزلي .
3- استخدام النص القرآني لغاية مخالفة لمقاصده .

---

[88]- عمارة، إخلاص فخري، **شروط استلهام القرآن الكريم والاقتباس منه** (Literature _Language guageL (alukah.net/

[89]- عمارة، إخلاص فخري، **شروط استلهام القرآن الكريم والاقتباس منه** (Literature _Language guageL (alukah.net/

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أما إذا كان الاقتباس من القرآن الكريم لا يوهم بإسناد الآيات القرآنية إلى غير الله فحينئذ يجوز الاقتباس . وكذلك إذا كان الشاعر على ثقة تامة بأنه لن يسيء توظيف النص القرآني فلا بأس والحالة هذه أن يستنبط العبرة الجديدة والمعنى المبتكر من آيات القرآن الكرم ، وليس هناك ما يمنع من التضمين والاقتباس القرآني إذا كانت القضية والمناخ الذي قيلت فيه تعالج مبدأ اتفق على احترامه ، ولا تمس جلال القرآن وقدسيته بحيث توضع بين علامتي تنصيص، ومع كل هذا فهناك معايير فنية وأخلاقية تضبط عملية الاقتباس وتتمثل تلك المعايير في الآتي :

1- أن يكون الاقتباسضرورةفنية تزيد العمل الفني قوة ولا تضعفه ، والاّ يكون بتضمين نص قرآني بصورة مباشرة.
2- ألاّ يخالف التناص أسس وقواعد العقيدة والشريعة الاسلامية التي تمثل الجزء الأساسي من ثقافة وفكر المتلقي، ولا شك في أن الجرأة في مثل هذه الأحوال لا تعد بحال من الأحوال ضرباً من ضروب الفن والإبداع .
3- تقدير واحترام كلام الحق تبارك وتعالى ، وعدم أخذ الاقتباس الذي يوحي بالامتهان والسخرية والتمرد .

والتناص النصي بمعايير المفاهيم النقدية الحديثة هو اجتلاب جزء من نص، شعري أو غير شعري، ونقله حرفياً، أو بتحريف بسيط، إلى نص آخر. ويعرف هذا النوع من التناص في مفاهيمنا النقدية التقليدية بـ (التضمين).

والشاعر الحديث يستخدم هذا النوع من التناص بوعي وتصميم في غالب الأحيان، وهو لا يستخدمه بقصد السرقة، أو بقصد ترصيع نصه به أو تزيينه، بل لتوظيفه في بناء نصه الخاص وإثرائه على المستويين الفني والدلالي. فالتناص، أياً كان شكله، يوسع أفق الدلالة ويفتحه على آفاق دلالية أخرى، مجاورة، أو قريبة، أو بعيدة، ويضيف إلى النصين معاً إمكانات تعبيرية مساعدة .

والواقع أن استخدام التناص النصي، وأشكال التناص الأخرى، ليس جديداً، بل بدأ مع البدايات الأولى للشعر العربي الحديث. وأحسب أن الشاعرين بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي هما أول من استخدمه، والشواهد على ذلك كثيرة في قصائدهما المبكرة التي كتبت في مطالع خمسينيات القرن الماضي. و ربما كان محمود درويش، من بعد، أكثر الشعراء العرب استخداماً لهذا النوع من التناص في شعره .

وغالباً ما يقتبس الشاعر الحديث النصوص من مراجع معروفة وشائعة، ولكن هذا لا يمنعه، أحياناً، من الاقتباس من مصادر مغمورة أو مجهولة إن هي وافقت نصه على المستويين الفني والدلالي. ويمكن في أحيان أخرى أن يتسرب إلى نصه شيء كان قد قرأه هنا أو هناك ونسي أنه لغيره، ولكنه رسب في ذاكرته وورد عليه

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

في أثناء عملية الكتابة فظنه له وأخذه دون انتباه منه. ولكن اكتشاف مراجع تناصات الشاعر ومصادرها هي من مسؤوليات النقد أولاً وأخيراً، والنقد هو الذي يميز عندئذ بين التناص المشروع والسرقة، وليس التقولات والإشاعات، وهو الذي يقرر مدى نجاح الشاعر أو إخفاقه في ما استخدم من تناص .
إن ما يميز التناص النصي عن السرقة هو :

- أن النص المقتبس جزء من نص آخر وليس كل النص الآخر، إلا إذا كان هذا نصاً مكفاً في أصله، كأن يكون مثلاً من الأمثال، أو حكمة، أو عنوان كتاب، أو لازمة في أغنية، أو شعاراً في لافتة، أو عبارة نثرية في أصلها، أو بيتاً من الشعر، أو عبارة من بيت، أو ما شابه .
- أن يأخذه الشاعر المقتبِس أخذ مستغنٍ عنه لا فقير إليه، على حد تعبير عبد الله بن المعتز، أي أن يكون هذا الشاعر شاعراً متمكناً من فنه، وهو في الأصل في غنى عما اقتبسه، ولا يتوقف نجاحه أو نجاح قصيدته على ما يقتبسه من غيره، بل هو يضيء ما يقتبسه ويضيف إليه ممكنات أخرى .
- أن يكون النص المقتبَس جزءاً ثانوياً من النص المنقول إليه، أي أن يكون أشبه بحجر في بناء، فهو ليس كل البناء ولا قوامه الأساسي، بل حجر من أحجاره .
- أن يكون نص الشاعر المقتبِس مكتفياً بذاته من حيث المبدأ، ويكون النص الذي يقتبسه مما يمكن الاستغناء عنه أو تعويضه .
- أن يؤدي النص المقتبَس وظيفة فنية ودلالية يريدها الشاعر المقتبِس، وأن يضعه هذا الشاعر في سياقه المناسب من نصه الخاص، بحيث لا يكون مجرد حشو أو حلية، بل بؤرة مشعة في نصه .

ثالثاً : التناص القرآني في الشعر العربي المعاصر

استخدام النص القرآني في الشعر لم يكن على غرار واحد عند الشعراء ، فقد يكون ايجابياً أحياناً وسلبياً أحياناً أخرى ، وقد يأتي موافقاً للنص القرآني تارة ، ومخالفاً ومخالفاً له تارة أخرى ويقول عادل ضرغام في هذا السياق: " هناك توظيفات جاءت ايجابية و منسجمة مع سياق القصيدة وكأنها لبنة من لبناتها، وأدت دورها في تعميق التجربة وإكساب الموقف والشخصية مزيداً من التكثيف والإيحاء، وهناك توظيفات أخرى وردت سلبية وسخيفة، لم تخدم فاعلية السياق أو

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الموقف على الصعيد الدلالي، فقصرت عن بلورة مواقف الشعراء ورؤاهم الإنسانية "[90].

وتعد المقاومة العربية أحد أشكال الصمود والتحرر الوطني ، " وقد بنت عليها الجماهير العربية آمالاً عريضة لدحر الاحتلال عن الأراضي وتحقيق الحرية والاستقلال" [91] . وفي هذا المجال " فإن الأدب بكل مكوناته الشعرية والنثرية لم يكن بمنأى عن أجواء المقاومة وتجلياتها، إذ تمكن من أن يجاري الواقع العربي ويصور هموم الأمة، ومشاهد البطولة والشهادة ، فكان أداة إيقاظ وتحفيز وتنوير، عبر عن وجدان الناس وصور مسيرة نضالهم في سبيل الحرية من جهة ، واستشرف المستقبل من جهة أخرى، في الوقت الذي فضح فيه الوجه البشع للاحتلال ،وسياسته التدميرية، وانتقد مفاسد الواقع ، وانحرافات القادة عن الهدف "[92].

ومن خلال دراسة أدب وشعر المقاومة نجد أن المقاومة العربية في مراحلها المتعاقبة على مدار التاريخ قد تركت بصمات واضحة في الأدب العربي" فقد انفعل الأدباء وتأثروا بمشاهد المواجهات البطولية في الوطن المحتل فلسطين- وبخاصة في الانتفاضة الأولى والثانية والحرب الأخيرة على غزة - ، وصور الإصرار والتحدي لشعب مقاوم لم تنحن قامته يوماً أمام جحافل الغزاة عبر التاريخ، وتمكنوا من أن ينقلوا بكل صدق وأمانة وعمق الصور النضالية التي تنتمي إلى واقع المعيش حيث الشهداء والجرحى والمعتقلون والأطفال.

ففي أدب المقاومة نجد شاب حمل القرآن بيد وبيده الأخرى حجر أو رشاش، وهم شهداء صغار تلطخت دفاترهم بدمائهم الزكية، وشيوخ صاروا أوتاداً حول أراضيهم المهددة بالمصادرة، وقادة وزعماء مزقت أجسادهم عمليات الاغتيال ، من هذا المنطلق وفي إطار سعي شعراء المقاومة الدائب، للتعبير عن مواقفهم ورؤاهم تعبيراً فنياً موفقاً، اهتدوا إلى استخدام مجموعة من وسائل التعبير الفنية الحديثة، وتوظيفها في البناء الفني لقصائدهم من : لغة شعرية موحية، وصور فنية مدهشة، وتناص، وإيقاعات نغمية رائعة، ومفارقات تصويرية، واستلهام معطيات التراث وعناصره "[93] ؛ ذلك أن "القصيدة العربية الحديثة لم تعد عملاً بسيط التكوين، بل هي نسيج

---

[90] - ضرغام، عادل، **في تحليل النص الشعري**، ص١١.

[91] - حمدان عبد الرحيم ، التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، مج3. ص81.

[92] - حمدان ، عبد الرحيم، التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة ،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية ، مج3، ص82 .

[93] - حمدان ، عبد الرحيم، " **التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة** "، مجلة جامعة الشارقة للعلوم

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

محكم تشكله وتغذيه جملة من العناصر، لعل أهمها ذاكرة الشاعر وما تجيش به من خزين معرفي ووجداني" [94].

ومن خلال دراسة وقراءة شعر المقاومة نجد أن شعراء المقاومة قد برعوا في توظيف النصوص القرآنية لخدمة أغرضهم الشعرية بصورة رائعة دون المساس بقدسية النص القرآني ، فمن هنا كان النص القرآني مصدراً ثرياً من مصادر الإلهام الشعري الذي يفيء إليه الشعراء ، يستلهمون، ويقتبسون منه ،سواء على مستوى الدلالة والرؤية ، أو على مستوى التشكيل والصياغة . ولا شك في أن التناص قد احتل مساحة واسعة في شعر المقاومة العربية ، إذ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدهم إلا وتجد بيتاً أو سطراً يتناص مع نص قرآني .

وقد اهتم شعراء المقاومة العربية باستدعاء النصوص القرآنية والتناص وذلك لما يمثله القرآن الكريم من ثراء وعطاء متجددين للفكر والشعور ، فضلاً عن تعلق قافة شعراء المقاومة به تأثراً وفهماً واقتباساً "[95] ، فضلاً عما يعالجه من قضايا تتطابق وطبيعة الصراع المحتدم على الأرض بين الحق والباطل " ذلك أن استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر، يعطي مصداقية وتميز لدلالات النصوص الشعرية، وانطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني وقدسيته وإعجازه "[96]."

فمن يتتبع النصوص القرآنية التي تناص معها شعراء المقاومة العربية يدرك أنها تتماشى مع أجواء المقاومة وأبعادها، وما يتوالد عنها من واقع مؤلم يعيشه الشعب المقاوم إلى جانب ملاءمتها لمواقف الشعراء ورؤيتهم الفكرية التي يريدون الإفضاء بها؛ إذ يشكل التناص القرآني في الشعر المقاوم محوراً أساسياً في نسيجه العام "[97] .

وقد تضمنت أشعار المقاومة نصوصاً قرآنية كثيرة ومتنوعة ،" اندمجت وتداخلت مع نصوص الشعر وسياقاته المختلفة مكونة نماذج متعددة من التناص الديني، أثرت الفكرة المطروحة وعمقت رؤية الشعراء وأسهمت في تشكيل البناء الفني للقصائد " [98] ، فتتنوع ظواهر التناص مع النصوص القرآنية في متن شعر المقاومة من خلال نقاط ومحاور متنوعة لكل منها دور وأهمية في إنتاج الدلالة وتوجيهها وفق زاوية أو رؤية معينة .

الشرعية والانسانية ، مج3، ص82 . بتصرف .

[94]- العلاق، علي جعفر، **الشعر والتلقي** ،ص13.

[95]- جربوع عزة ، "**التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر**"،مجلة فكر وإبداع ص، ١٣٤ .

[96]- حمدان، عبدالرحيم، " **التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة** "، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية ، مج3 ،ص86

[97]- نفس المرجع .

[98]- نفس المرجع ، مج3 ،ص85.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقد تأخذ هذه الظواهر أشكالاً مختلفة بحيث تتفاعل المحاور في النص مع هذه الظواهر، فتعطي التناص قيمة خاصة تنم عن فهم الشاعر ومعرفته بأغوار موروثه الديني، وهذا ما كان من الشاعر محمود درويش إذ استلهم القرآن الكريم في عديد من المفردات والعبارات، وفي كثير من القصص والمواقف وبعض الشخصيات حتى أنه في أسلوبه يحاكي نسق القرآن ونظمه ، وفيما يلي عرض لبعض أشعاره المتناصة مع القرآن الكريم برؤية نقدية .

رابعاً : وظائف التناص

للتناص ثلاث وظائف أساسية هي:

1. التأكيد على عمومية الموضوعات التي يتناولها النص من خلال تقاطعه مع نصوص أخرى تعالج المضامين نفسها أو تعارضها.
2. إعادة قراءة النصوص المقتبسة في ضوء النص الجديد الراهن وربما إعادة صياغتها بما يكشف عن جوانب جديدة فيها تجلها وقراءتها في إطار جديد ونص جديد . فالنص الأدبي متعدد الدلالة ، والأصوات فيه صوت السارد والكاتب وبقية الشخصيات ونصوص أخرى وما فيها من شخصيات غير كاتبها.
3. التعبير عن إيديولوجيا السارد وموقفه من الواقع والأحداث وتعليقه عليها من خلال اختيار نصوص محددة . فالسارد في آن واحد يعلق على واقعه باقتباس تلك النصوص ويعلق على تلك النصوص من خلال وضعها في سياقها الجديد.

والتناص ليس عملية شكلية تتأسس على التواصل الشكلي بين النصوص وإنما يعني التناص الفاعل تمازجا وتشابكا وتلاحما بين النصوص التي تقيض للقارئ فرصة معاينة النصوص معاينة قائمة على إثارة وعيه وإدراكه واستنفار معرفته وخبرته في النص الوافد وما طرأ عليه من تحولات في تغيير دلالاته عندما يدخل في نسيج النص الجديد ويصبح جزءا لا يتجزأ منه ، فالنص المستقبل ممكن أن يحور ويبدل ويغير في النص الوافد وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع.

المبحث الخامس :

نموذج من الشعراء الذين استخدموا التناص في قصائدهم الشعرية

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

1. الشاعر محمود درويش

من الشعراء الذين أكثروا من استخدام التناص في أشعارهم الشاعر محمود درويش .

➢ الشاعر محمود درويش وشخصية نوح عليه السلام

يشكل التواصل بشخصيات الأنبياء ركيزة أساسية من ركائز التواصل بالتناص القرآني في شعر المقاومة " " وكثيراً ما يراود شعراء المقاومة شعور بوجود تشابه ما بين تجاربهم وتجارب الأنبياء من حيث حمل رسالة معينة مع الأخذ بالاعتبار أن رسالة الأنبياء رسالة سماوية ، لذلك لم يأت التواصل بشخصيات الأنبياء عشوائياً، بل برز فيه عنصر الانتقاء بحيث تنجح الشخصية المنتقاة في التعبير عن أبعاد التجربة والمعاناة، التي يمر الشاعر بها على الصعيدين الفردي والاجتماعي"[99].

وقد حظيت قصة طوفانِنوح عليه السلام بنصيب لا بأس به في الأدب العربي ، وقد شرح القرآن الكريم جوانب مختلفة من حياة نوح عليه السلام وخاصة فيما يتعلق بالجوانب التربوية والمواعظ. فقصة نوح عليه السلام مع قومه وخاصة المستكبرين منهم تعد واحدة من العبر العظيمة في تاريخ الإنسانية ، وخاصة أنها تحمل في طياتها دروساً هامة في كل واقعة منها ، فيبين القرآن الكريم بداية تلك الدعوة بقوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } هود:25. ثم يلخص القرآن الكريم هذه الدعوة العظيمة في جملة واحدة فيقول تعالى :{ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} هود: 26 .

وإذا نظرنا في محطات دعوة نوح في قومه نجد أنها في ملخصها تدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد .

وبقراءة أشعار شاعر المقاومة محمود درويش نجد أنه يسلك طريقاً يغاير طريق نوح عليه السلام حيث أن شعره يتعارض مع المضمون الأصلي لشخصية نوح في السياق القرآني. وكأن الشاعر يصور شخصية نوح عليه السلام تصويراً لمو ف عصري يعيشه الشاعر أراد أن يحكي عنه بأسلوبه وفلسفته المقاوِمة ، فيستعير ملامح شخصية نوح عليه السلام وسماتها لتجسيد شخصية حديثة .

فعلى سبيل المثال في قصيدة " مطر " يطلب الشاعر من نوح عليه السلام في ألا يترك مهمته ويهرب تاركاً ساحة الدعوة التي أُكلت إليه فيقول :

يا نوحْ!
هبني غصنَ زيتونٍ
ووالدتي.. حمامةْ!
إنا صنعنا جنةً
كانت نهايتُها صناديقَ القمامةْ!

---

[99] - الخضور، صادق عيسى، **التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة**، ص58.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يا نوحْ!
لا ترحل بِنا
إن الممات هنا سلامةْ
إنّا جذورٌ لا تعيش بغيرِ أرض..
و لتكنْ أرضي قيامةْ!

ففي هذا النص نجد أن الشاعر يستحضر قصة الطوفان منوهاً إلى موقف أبناء قومه وهم يستنجدون به طلباً للخلاص من الغرق المحتم ، فاستحضار مثل هذه الصورة فيها تلميح لما حل بالأسرة الفلسطينية في عامي 1948م و1967م وما صاحب النكبة والنكسة من آلام ونكبات . فيصور حال الفلسطينين وهم يطلبون النجدة والمساعدة والعون من الآخرين ، ولكن الأمر الذي لم يخطر على بال أن يقلب الشاعر التناص والتعامل مع النص القرآني، ويحدث تعارضاً بين ما في النص الحاضر (الشعر) وواقع النص الغائب (القرآن)، فإذا تمعنا في النص القرآني نجده يحمل في ثناياه العبرة والعظة التي تعبر بشكل واضح لا لبس ولا غموض فيه عن دعوة نوح عليه السلام وما يعتريها من جوانب ايجابية .

وأما النص الشعري الماثل أمامنا ومن خلال تحليل معانيه نجد أنه يشير بشكل واضح إلى رفض الشاعر لدعوة نوح عليه والهجرة معه ، ويتمسك بالبقاء في أرضه مهما كان العنت وسؤ العاقبة ، كما وأن النص يكشف عن رفض صريح لما يحمله في ثناياه من دعوة للسلام والمتمثلة في صورة الزيتون والحمام . بل إن السخرية في النص بلغة حداً كبيراً حينما يقول الساعر " إن نهاية الحمامة صندوق القمامة " [100] فهذا التحوير السلبي في شعر محمود درويش يعود بشكل صريح إلى رؤية الشاعر المتشددة حيال أرضه المحتلة ، فهو يرفض المماطلة بل يستهجنها ، ويلوم أبناء وطنه المماطلين ، فمن هنا نجد أن الشاعر يستحضر (حجر كنعاني في البحر الميت) قصة الطوفان من جديد ، ويستمر في رفض مهمة نوح وعدم قبولها ويقول :

لا بـ بَ يَفْتَحُهُ أمامي البَحرُ..
قُـتُ: قَصيدتي
حَجَرٌ يَطيرُ إلى أبي حَجَلاً. أتَعْلَمُ يا أَبي
ماحَلَّ بي؟ لا بابَ يُغْلقُهُ عَلَيَّ الْبحْرُ، لا
مرآة أكْسِرُها لِيْنتشرَ الطّريقُ حَصىً.. أَمامِي

[100] – الزيود، عبد الباسط، " المتوقع ولا المتوقع في شعر درويش" : (دراسة في جمالية التلقي)" ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها / مج18، ص438.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أو زَبَدْ...
هل مِنْ أَحَدْ..

يبكي على أحَدٍ لأحْمِلَ نَايَهُ
عنْهُ، وأُظْهِرَ ماتَبطَّنَ مِنْ حُطَامِي؟
أنا مِن رُعاة الْملح في الأَغْوَارِ. يَنْقُرُ طائرٌ
لُغتي، ويَبْني عُشَّ زُرْقَتِهِ المُبَعْثَرَ في خِيامي..
هل مِنْ بَلَدْ

؟

الأنْبياءُ جَميعُهُمْ أهْلي، ولكنَّ السَّماءَ بَعيدةٌ
عَنْ أرْضها، وأنا بعيدٌ عَنْ كَلَامي..
لا ريحَ تَرفَعُني إلى أعلى من الماضي هُنَا
لا ريحَ تَرفعُ موْجةً عن ملْح هذا البحْر، لا
راياتِ للموْتى لكي يسْتسْلِمُوا فيها، ولا
أصْوات للأحْياء كي يَتبادلوا خُطُب السَّلامِ..
ويَموتُ حَيّاً في تُدَ ئِيِّ القَصيدةِ والحُسامِ،
مابيْنَ مصرَ وبينَ آسيا والشَمالِ.. فَيا غَريبُ
أوقفْ حِصانَكَ تَحْتَ نَخْلَتِنا! على طُرُق الشَّآمِ
يَتَبادَلُ الغُرَباءُ في ما بَيْنَ م خُوَذاً سَيَنْبُتُ فَوْقَها
حَبَقٌ يُوزِّعُهُ على الدُّنْيا حَمَامٌ قد يَهُبُّ من البُيُوت
والبحرُ مَات، من الرَّتابَة، في وصَايَا لا تَمُوت
وأَنا أَنا، إنْ كنتَ أنتَ هُناك أنتَ، أنا الغَريبُ
عن نَخْلَةِ الصَّحْراءِ مُنْذُ وُلِدْتُ في هذا الزَّحَامِ
وأنا أنا، حَرْبٌ عليَّ وفيَّ حَرْبٌ.. ياغريبُ
عَلِّقْ سِلاحَكَ فوقَ نَخلَتِنَا، لأزْرَعَ حِنْطَتِي

في حَقْل كَنْعانَ المُقدّس.. خُذْ نبيذاً من جرَاري

ضَعْحَجَراً من الآجُرِّ، وارْفع فَوقَهُ بُرْجَ الْحَمَام
لتكونَ من ا إن أرَدْتَ، وجارَ حِنْطتِنَا وخُذْ
منَّا نُجوم الأبْجديَّة، ياغَريبُ
واكتُبْ رسالاتِ السَّماء مَعي إلَى

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

خَوْفِ الشُّعـ بِ من الطَّبيعَة والشَّعـ ب،
وأتْرُك أَريحَا تحْت نَخلتها، ولاتَسْرقْ منامِي
وَحليبَ امرأتي، وقُوتَ النَّمْل في جُرْحِ الرُّخامِ!
أأتيْتَ... ثُمَّ قَتَلْتَ.. ثُمَّ وَرِثْتَ، كَي
زْدادَ هذا البحْرُ مِلْحاً؟
وأنا أنا أخضرُّ عاماً بعد عامٍ فوْقَ جِذْع السَّنديان

والأَنْبَياءُ جَميعُهُمْ أَهْلي، ولكِنَّ السَّماءَ بَعيدَةٌ
عَنْ أَرْضِها، وأَنا بَعيدٌ عن كَلامي
والبَحْرُ يَنْزِلُ تَحْتَ سَطْحِ الْبحْر كَيْ تَطْفُو عِظامي
شَجَراً. غيابي كُلُّهُ شَجرٌ. وبابي ظِلُّهُ
قَمَرٌ. وكَنْعانيَّةٌ أُمِّي. وهَذا البَحْرُ جِسْرٌ ابِتٌ
لِعُبورِ أَيَّامِ القيامَةِ يا أبي كَمْ مَرَّةً

سَأَموتُ فوْقَ فِراش إِمْرَأَةِ الأَساطيرِ الَّتي
تَختَارُهَا "آناثُ" لي، فَتَشُبُّ نارٌ في الْغَمامِ
كَمْ مَرَّةً سَأَموتُ في نَعْشِ أَحْواضي القَديمَةِ كُلَّمَا
فَرَكَتْهُ رِيحُ شِمالِكَ الْعالي رَسائِلَ من يمامِ؟
هَذَا غَيابي سَيِّدٌ يَتْلُو شَرائِعَهَ على
أحْفادِ لُوطَ، ولا يَرى لِسَدومَ مَغْفِرَةً سِوَايْ

هذا غِيابي سَيِّدٌ يَتْلو شَرائِعَهُ، ويَسْخَرُ من رُؤايْ
ما قيمةُ المرْآةِ لِلْمرْآةِ ؟ لي وَجْهٌ عَليكَ، وأَنتَ لا
تَصْحو منَ الثَّار خِ، لا تَمْحو بُخارَ الْبَحْرِ عَنْكْ..
والْبَحْرُ، هذا الْبَحْرُ، أَصْغَرُ من خُرافَتِهِ وأَصْغَرُ مِنْ يَدَيْكْ
هو بَرزَخُ البلُّورِ، أَوَّلُهُ كآخِرِهِ، وَلاَ مَعْنًى هُنا
لِدخولِكَ أُلعِ ثِيِّ في أُسْطورَةٍ تَرَكَتْ جُيوشاً للرُّكَامِ
لِيَمُرَّ جَيْشٌ آخَرٌ يَرْوي روايَتَهُ وَيَحْفِرَ لِاسْمِهِ
جَبَلاً، ويَأْتي الِثٌ ويَخُطُّ سِيْرَةَ زَوْجَةٍ خانَتْ عليه ويَمْحُو رابعٌ
أَسْماءَ مَنْ سَبَقوا هُنَ ك لِكُلِّ جَيْشٍ شاعِرٌ
ومُؤَرِّخٌ عليه ورَبابَةٌ لِلرَّاقصاتِ السَّاخِراتِ مِنَ الْبِدايَةِ والخِتامِ...

والآخر ونعليه لِيَكْتُبُوا أَسْماءَهم عليه بيديْ، على أَلْواحِهِ

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فَكَتَبْتُ: لِاسْمي الأَرْضُ، واُسْمُ الأرضِ آلِهةٌ تُشاركُني مَقَامِي
في الْمَقْعَدِ الْحَجَرِيِّ. لَمْ أَذَهَبْ ولَمْ أَرْجِعْ مَعَ الزَّمَنِ الهُلامي

ورأيتُ باباً للخرُوج، رأيتُ باباً للخُروجِ وللدُّخولْ..
هَلْ مَرَّ نوحٌ مِنْ هُنا كَ إلى هُنا كَ لكيْ يَقُولْ
ما قال في الدُّنْيا: لَها بابانِ مُخْتَلِفانِ لكنَّ الْحِصانَ يَطيرُ بي
ويَطيرُ بي أَعلى وأسْقُطُ مَوْجَةً جَرَحَتْ سُفوحاً، يا أبي
وأنا أَنا وَلَوِ انْكَسَرْتُ رَأَيْتُ أَيَّامي أَمامِي
ورَأَيْتُ هاويَةً رَأَيْتُ الْحَرْبَ بَعْدَ الْحَرْبِ تِلْكَ قَبيلَةٌ
دالَتْ عليه وتِلْكَ قَبيلَةٌ قَالَتْ لِهولاكو الْمُعاصِر: نَحْنُ لَكْ
وأَقُولُ: لَسنا أُمَّةً أَمَةً، وأَبْعَثُ لِابْنِ خَلْدونَ احْتِرامِي
وأَنَا أَنَا وَلَوِ انْكَسَرْتُ على الْهَواءِ المَعْدِنِيِّ.. وأَسْلَمَتْنِي
حَرْبُ الصَّليبِيِّ الجَديدَ إلى إلهِ الانْتِقامِ
وإلى المَغوليِّ المُرابِطِ خَلْفَ أقنِعَةِ الإمامِ
وإلى نِساءِ المِلْحَ في أُسْطورَةٍ نَخَرَتْ عِظامِي..
وأَنا أنا لا بابَ يُغْلقُهُ عَليَّ الْبَحْرُ. لا
مِرْآةَ أَكْسرُها لِتَنْتَشِر الطَّريقُ رُؤىً.. أَمامي

ففي هذا النص تتضح الروح الثورية والألم عند محمود درويش ، ويبدي ألمه وامتعاضه من أولئك الذين يتساهلون مع الاحتلال من بني وطنه ، ومن خلال مطالعة النصوص المعبرة عن تعلق الشاعر بوطنه وأرضه هي في حقيقتها قابلة للنقد ، وذلك في موقفه تجاه سيدنا نوح عليه السلام في إنقاذ القوم الصالحين من الطوفان، حيث يعد سلوكه الهادئ نابعاً عن خوف وعدم مثابرة منه حسب ما يراه الشاعر وليس ما أراه – لأن الأنبياء لا يتصفون بمثل ذلك كله - .

ولا شك في أن التاريخ الإنساني عامة والعربي والإسلامي خاصة ، يحفل بمئات أو آلاف من الرموز والحكايات والأساطير والنصوص التي تصلح أوعية لحمل الأفكار والآراء المختلفة، وعلى الشاعر القدير أن يختار من هذه الرموز والنصوص ما يناسب عمله الشعري ، ولا داعي لأن يختار نصاً أو شخصية أو موقفاً دينياً فيوظفه من مضمونه الأصلي ، ويقول من خلاله مضموناً مخالفاً أو مضاداً يفاجئ القارئ ويستفزه ، في حين أن لديه متسعاً في أوعية وأقنعة ورموز أخرى ".[101]

[101] - انظر :http:// alukah.net/Web/literature_languageh

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقد عمد الشاعر محمود درويش ، في قصائد كثيرة إلى المزج بين الوطن والحبيبة ، بحيث لا يستطع القارئ الفصل بين صورة الوطن وصورة المرأة ، فنراه يزين المرأة بالمظاهر التي توجد في طبيعة الوطن ، وحملها هموم الوطن وآلامه ومآسيه، وفي الوقت نفسه مزج درويش ما بين الوطن والمرأة ، حتى غدا كل واحد منهما يدل على الآخر.

وعندما يصور الشاعر درويش المرأة فإنه يستعير من جماليات القرآن ، ليضفي هذه الجماليات على محبوبته، لذلك قد يأتي هذا المزج عشوائياً وذلك بسبب استعمال آيات القرآن في غير مواضعها التي تليق بها، فمثلاً يصف الشاعر محبوبته (مدينة غزة) بأسماء الله وصفاته فيقول في قصيدته (الخروج من ساحل المتوسط) :

سيلٌ من الأشجار في صدري
أتيتُ ... أتيت
سيروا في شوارع ساعدي تَصِلوا.
وغزّةُ لا تصلّي حين تشتعلُ الجراح على مآذنها،
وينتقل الصباح إلى موانئها ، ويكتمل الردى فيها
أتيتُ...أتيتُ

وأكتب باسمها موْتي على جميزة،
فتصيرُ سيِّدةً وتحمل بي فتىً حراً
فسبحان التي أسْرَتْ بأوردتي إلى يدها !
أتيتُ ... أتيتُ
غزّةُ لا تصلّي
لم أجد أحداً على جرحي سوى فمها الصغير
وساحل المتوسط اخترق الأبد..

-2-

ما فَتَكَ الزمانُ بهم ، فليس لجثَّتي حدٌّ ولكني
أحسُّ كأن كلَّ معارك العرب انتهتْ في جـ تي،
وأودُّ لو تتمزق الأيام في لحمي ويهجرني الزمان ،
فيهدأ الشهداءُ في صدري ويتفقون
ما ضاق المكانُ بـ م ٍ فليس لجثتي حدّ ، ولكنّ
الخلافة حصَّنَتْ سور المدينة بالهزيمة ، والهزيمةُ
جدَّدتْ عمر الخلافة

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

-3
وتقاسمتْني هذه الأممُ القريبةُ والبعيدةُ
كلُّ قاضٍ كان جزّاراً
تدرَّج في النبوءة والخطيئةِ
واختلفنا حين صار الكل في جزءٍ،
وصار الجرحُ وردتَنا جميعاً
وابتعدنا...
اذهب إلى الموت الجميلِ –
ذهبتُ
وحدي كنتُ
قلتم : نحن نتظر الجنازة بالأكاليل الكبيرة والطبول ،
ونلتقي في القدسِ..
ليتَ القدس أبعدُ من توابيتي لأنّهم الشهودَ
وما عليك ! ذهبت للموت الجميل
ومدينةُ البترول تحجز مقعداً في جنة الرحمن – قل م لي
وطوبي للمُموِّل والمؤذِّن... والشهيد !
-4-
تَعِبَ الرثاءُ من الضحايا
والضحايا جَمَّدتْ أحزانها
أوّاه ! مَن يرثي المراثي ؟
لستُ أدرى أيُّ قافية تحنِّطني ، فأصبح صورة في معرض
الكتب القريب.
ولستُ أدرى أيُّ إحصائيَّة ستضمُّني..
يا أيها الشعراء .. لا تتكاثروا !
ليست عظامي منبراً
فدعوا دمي – حبر التفاهم بين أشياء الطبيعة والإله
ودعوا دمي – لغة التخاطب بين أسوار المدينة والغزاة
دمي بريدُ الأنبياء
-5-
وأعود من تلقاء نفسي....
ليت شُباكي بعيد كي أرى أمي
وليت القيد أقرب كي أحسَّ النبض في زندي
وليت البحر أبعد كي أخاف من الصحارى

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

آهِ ’ ليت الشئ عكس الشئ كي تتآكل الأشياء في
نفسي ، وتأخذَ صيغة الفرح الحقيقيّ
ابتعدنا واقتربنا وابتعدنا
يا أهالي الكهف قوموا واصلبوني من جديدِ
إنني آتٍ من الموت الذي يأتي غداً
آتٍ من الشجر البعيد
وذاهبٌ في حاضري – غدِكم
أنا قشَّرتُ موجَ البحر زنبقةً لعزة...
-6-
سيلٌ من الأشجار يخرج من ضلوع الصخر – يصقلني
الفناءُ
وجدولٌ يمتد من صدري عموديّاً – وتنحدر السماءُ
رأيتُ رأي القلب – ذوَّبني الضياءُ
فصرت صوتاً ’ والحصى صار الصدى
وتنفَّس القبرُ القديمُ...
تحرَّك الحجرُ... استردَّ دبيبَهُ مذ م

أنا الأحياء والوطن الذي كتبوهُ في تاريخ م...
من جثتي بدأ الغزاةُ ، الأنبياءُ ، اللاجئون –
والآن يختتمون سيرتهم لأبدأ من جديد
-7-
تتحرَّك الأحجارُ
هذا ساعدي متمايل كالرعب
ليس الربُّ من سكّان هذا القفرِ
هذا ساعدي
تتحرَّكُ الأحجارُ ،
ما سرقوا عصا موسى .
وإنَّ البحر أبعدُ من يدي عنكم
إذن ، تتحرَّك الأحجارُ
واستأجرتني آيةُ الكرسيِّ دهراً ’ ثم صرت بطاقةً للتهن ات
تغيَّر الشهداءُ والدنيا
لن تفهموني دون معجزةٍ
لأن لغاتـ م مفهومَةٌ

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

إن الوضوح جريمةٌ
وغموض موتاكم هو الحقُّ – الحقيقةُ
آه ، لا تترك الأحجار إلاّ حين لا يتحرك الأحياء
فالتقّوا على أسطورتي !

-8-

لن تفهموني
تخرج العذراءُ من لعي
تكون مشيئتي
وأصابُ بالأمطار والبرق الذي أدمنتهُ
لن تفهموني
ناهضاً من قبركم
والأرضُ للشهداءِ –
أنهيتُ المغامرة الأخيرة وابتدأتُ :
هنا الخروج . هنا الدخولُ
هنا الذهاب . هنا الإيابُ
ولا مكان هنا
أنا الزمن الذي لن تفهموني خارج الذي ألقي
بكم في الكهفِ –
هذي ساعتي :
ينشقُّ قبرٌ ثم أنهض صارخاً :
لا تُوقفوني عن ذ يفي
لحظةُ الميلاد تسكُنني من الأزلِ ’استريحوا في جراحي-

-9-

في غزةَ اختلفَ الزمان مع المكانِ
وباعةُ الأسماك باعوا فرصةَ الأمل الوحيد ليغسلوا
قدميّ
ويفتِّشون أظافرَ القدمين والكفين عن فَرحٍ فدائّي ،
وكانوا يُلحقون حياتهم
بدموع هاجَرَ . كانت الصحراء جالسةً على جلدي
وأولُ دمعة في الأرض كانت دمعةً عربية
هل تذكرون دموع هاجر – أوَّلِ امرأةٍ بـ تْ في
هجرة لا تنتهي ؟

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يا هاجَرُ ، احتفلي بهجرتي الجديدةِ من ضلوع القبر
حتى الكون أنهضُ
يسكن الشهداءُ أضلاعي الطليقة
ثم أمتشق القبور و ساحلَ المتوسطِ

2- الشاعر أمل دنقل في رحلته مع التناص

ومن الشعراء الذين اتخذوا من التناص وسيلة للتعبير عما يجول في خاطرهم من أفكار الشاعر أمل دنقل في قصيدته (مقابلة خاصة مع ابن نوح) ، ذلك الابن الذين اختار الصمود ومواجهة الأمواج بدلاً من الفرار وترك الوطن فيقول في قصيدته :

جاء طوفانُ نوحْ! / المدينةُ تغْرقُ شيئاً.. فشيئاً /تفرُّ العصافيرُ، /والماءُ يعلو. /على دَرَجاتِ البيوتِ / - الحوانيتِ - /- مَبْنى البريدِ - /- البنوكِ - /- التماثيلِ (أجدادِنا الخالدين) -
- المعابدِ - /- أجْوِلةِ القَمْح - / - مستشفياتِ الولادةِ - /- بوابةِ السِّجنِ -/ - دارِ الولايةِ -
أروقةِ التّكناتِ الحَصينهْ. /العصافيرُ تجلو.. /رويداً.. /رويدا.. /ويطفو الإوز على الماء،
يطفو الأثاثُ.. / ولُعبةُ طفل.. /وشَهقةُ أمٍ حَزينه /الصَّبايا يُلوّحن فوقَ السُطوحْ! /جاءَ طوفانُ نوحْ! / هاهمُ "الحكماءُ" يفرّونَ نحوَ السَّفينهْ /المغنونَ- سائس خيل الأمير- المرابونَ- قاضى القضاةِ /(.. ومملوكُهُ!) - /حاملُ السيفُ - راقصةُ المعبدِ /(ابتهجَت عندما انتشلتْ شعرَها المُسْتعارْ) / - جباةُ الضرائبِ - / مستوردو شَحناتِ السّلاحِ - /عشيقُ الأميرةِ في سمْتِه الأنثوي الصَّبوحْ! /جاءَ طوفان نوحْ. /ها همُ الجُبناءُ يفرّون نحو السَّفينهْ. /بينما كُ تُ../كانَ شبـبُ المدينةْ /يلجمونَ جوادَ المياه الجَمُوحْ /ينقلونَ المِياهَ على الكَتفين. /ويستبقونَ الزمنْ /.

يبتنونَ سُدود الحجارةِ /عَلَّ م يُنقذونَ مِهادَ الصِّبا والحضاره / علَّ م يُنقذونَ.. الوطنْ! /.. صاحَ بي سيدُ الفُكِ - قبل حُلولِ السَّكينهْ: / "انجِ من بلدٍ.. مْ تعدْ فيهِ روحْ!" /قـتُ:طوبى لمن / طعِموا خُبـ ه.. / في الزمانِ الحسنْ /وأداروا له الظَّهرَ /يوم المِحَن! /ولنا المجدُ - نحنُ الذينَ وقَفْنا / (وقد طَ سَ اللهُ أسماءنا!) / نتحدى الدَّمارَ.. / ونأوي الى جبلٍ لا يموت /(يسمونَه الشَّ ب!) / نأبي الفرارَ.. / ونأبي النُزوحْ! / كان قلبي الذي نَسجتْه الجروحْ / كان قَلبي الذي / لَعنتْه الشُروحْ / يرقدُ - الآن - فوقَ بقايا المدينه / وردةً من عَطنْ / هادئاً.. / بعد أن قالَ " لا " للسفينهْ / .. وأحب الوطن

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن خلال قراء هذا النص نجد فيه معارضة للنص القرآني ... يضاهي فيه أمل دنقل محمود درويش في قلب قصة سيدنا نوح عليه السلام خلافاً لما جاء في القرآن الكريم . فهو يعتبر من التجأ إلى السفينة جباناً ومن توفي على أثر الطوفان بطلاً مقاوماً.

ولعل الحماسة والثورية المكللة بالعواطف السلبية البعيدة كل البعد عن الواقعية واحترام قواعد الدين وشخوص الأنبياء جعلته يقلب القصة القرآنية وفق هواه وخلافاً لواقع النص القرآني وهذا إسفاف ما بعده إسفاف ، فالحماسة وحب الوطن لا يعطي الشاعر أو الأديب الحق في قلب الحقائق القرآنية ففي نظر أمل دنقل أن الناجين من الموت هم الذين قاوموا الطوفان ، بينما الذين ركبوا السفينة في نظره هم الجبناء والعياذ بالله ، فشخصية نوح عليه السلام عند الشاعر دنقل يمثل الشخص الهارب من الطوفان ، على نقيض معناه الدلالي في القرآن الكريم الذي يمثل نبي إنقاذ البشرية من الظلم والفساد والثبور .

3- الشاعر أحمد مطر [102]

- يقول الشاعر أحمد مطر في قصيدة (قلة أدب)

قرأت في القران
"تبت يدا أبي لهب"
فأعلنت وسائل الإذعان
"إن السكوت من ذهب"
أجبت فقري لم أزل أتلو
و ب
ما أغنى عنه ماله وما كسب
فصودرت حنجرتي بجرم قلة الأدب
وصودر القرآن
لأنه حرضني على الشغب

- وفي قصيدة (الجزاء) يقول الشاعر :

في بلاد المشركين
يبصق المرءُ بوجه الحاكمين

[102] – **أحمد مطر** هو شاعر عراقي الجنسية ولد سنة 1954 م في قرية التنومة، إحدى نواحي شط العرب في البصرة، وهو الابن الرابع بين عشرة أخوة من البنين والبنات. وعاش فيها مرحلة الطفولة قبل أن تنتقل أسرته وهو في مرحلة الصبا، لتقيم عبر النهر في محلة الأصمعي.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فيجازى بالغرامة
ولدينا نحن أصحاب اليمين
يبصق المرء وما تحت أيادي المخبرين
ويرى يوم القيامة
عندما ينثر ماء الورد والهيل
بلا إذن
على وجه أمير المؤمنين

ويقول الشاعر أحمد مطر في قصيدة (شكوى) :

بيني وبين قاتلي حكاية طريفه
فقبل أن يطعنني
حلفني بالكعبة الشريفه
أن أطعن السيف أنا بجـ تي
فهو عجوز طاعن وكفه ضعيفه
حلفني إن احبس الدماء
عن ثيابه النظيفه
فهو عجوز مؤمن
سوف يصلي بعد ما يفرغ من
تأدية الوظيفة
شكوته لحضرة الخليفه
فردَّ شكواي
لأن حجتي سخيفه

تحدثت النماذج السابقة عن حالة واحدة وهي ظلم النظام الحاكم وغطرسته وتماديه في ذلك ، ففي القصيدة الأولى عندما يلعن الشاعر على لسان القران الكريم الطغاة وهو يقرأ سورة المسد التي لعنت بصراحة وبالاسم الطاغيةَّ أبا لهب، يفاجأ الشاعر بـ (وسائل الإذعان) وهي تريد أن تثنيه عن خطه الذي يفكر في مساره وتخرجه من عالم القران وآياته السماوية إلى لغة الحكم والمأثورات التي تشكل مرجعيتها المعرفية تجاه ما يحمله الشاعر من مرجع فكري وهو القران الكريم فيقولون له بلغة الإذعان التي تستبطنها لغة التهديد إن(السكوت من ذهب) وعندما لا يستجيب يصادرون حنجرته.

وفي النصيين التاليين يصور الشاعر استهتار الطبقة الحاكمة بأرواح ومصائر الناس لأدنى سبب ، لقد تمثلت صور الشاعر هنا في وجهين متناقضين هما الحكم وأساليبه

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

في القمع والتسكيت وإرادة المواطن حيث يتجلى الصراع ويكون الحسم لصالح السلطة في النص ولكنه لدى المتلقي يتحول إلى فعل تحريضي ومعول هدم في بناء السلطة خارج النص وهذه وظيفة النص ودلالته العميقة حركته التي تنقله من اللغة إلى الواقع حين يعيد المتلقي إنتاج النص في نفسه.

وفي قصيدة (أين المفر) يقول الشاعر:

أوطاننا قيامه
لا تحتوي غير سقر
والمرء فيها مذنب
وذنبه لا يغتفر
إذا أحس أو شعر
يشنقه الوالي قضاء وقدر
إذا نظر
تدهسه سيارة القصر قضاء وقدر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة

وصفوة القول ومحصّل هذه الدراسة التي حاولت أن تستوعب بتحليل التناص لغة واصطلاحا، وصولا إلى تفصيل الخطاب في مظاهر التناص ودلالاته في شعر محمود درويش وأمل دنقل وأحمد مطر ، إلى إقرار أهمية التناص وتأكيد وظائفه وأدواره التي لا نبغي عنها حولا داخل ألوان الأدب العربي وبخاصة الشعر منها ، نظرا إلى ما اضطلع به التناص من أشكال ودلالات ثابتة مستقرة في الذاكرة الجماعية أو الذهنية العامة والنصوص المرجعية الدينية والتاريخية والأدبية والتراثية والأسطورية والصوفية إلى دلالات طريفة مستحدثة وسياقات وسجلات جديدة أيضا إلا أن بعض الشعراء لم يكن مصيباً في استخدام النص القرآني على الوجه الأمثل .

فعلى سبيل المثال فقد عمد الشاعر محمود درويش، في كثير من قصائده إلى المزج بين الوطن والحبيبة، حتى إنك لا تستطيع الفصل في كثير من قصائده الوطنية الملتزمة بين صورة الوطن وصورة المرأة عنده، فقد زين المرأة بالمظاهر التي توجد في طبيعة الوطن، وحملها هموم الوطن ومآسيه، كما وسم الوطن بِسمات المرأة، حتى غدا كلّ منهما يدل على الآخر. فكثيراً ما مزج درويش بين الوطن والمرأة، ولكن عندما يصور الشاعر المرأة، فإنه يستعير من جماليات القرآن، ليضفي هذه الجماليات على محبوبته، لذلك قد يأتي هذا المزج عشوائياً لاستعمال الآيات القرآنية في غير موضعها اللائق.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

في ضوء التفاعل مع النصوص القرآنية ينبغي للشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة واستعمالات
مثيرة للدهشة، ولكن قد يشاهد في شعر المقاومة أن الأمر لم يقف عند ولوج ساحة اللغة القرآنية على استحياء أو الاقتباس منها كما فعل القدماء والمحدثون، وهو الأمر الذي كان يلقى استحسان النقاد والشعراء، بل إنه تعدى ذلك إلى استعمالات أخرى، قد لا نجد فيها ما يمس معتقدا أو يجرح شعورا -على الأقل- في مظهرها المباشر، فإذا كان الله ز وجل قد أقسم بعدة أمور لعظمتها كقوله
تعالى:{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِ مٍ*ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ* فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ* أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } التين/1-8.

فإنَّ الشاعر أمل دنقل يستلهم من واقع الشعب مآسي عظاماً ويقسم محاكياً القرآن الكريم:

والتينِ والزيتون / وطُورِ سينِين، وهذَا الْبلَد الْمحـ ونْ/ لَقَد رأيت يومها سفائن الإفرنج / تغوص
تحت الموج / و ملك الإفرنج / يغوص تحت السرج / و رايةُ الإفرنجِ تغوص / والأقدام تفري وجهها

ويتكرر القَسم لدى الشاعر، فيقسم مرة أخرى معرضاً بالقَسم الإلهي، وبذلك، فإنَّ الشاعر يكشف عن العلاقة التي تربط شعره بالقرآن، ولكن طبيعة شعره المنتحل، تجعلها مثيرة للاضطر ابوالقلق مما يفعل الشاعر بلغة القرآن حين يحورها على النحو التالي مرة أخرى:

والتينِ والزيتونْ/ وطُورِ سينِين، وهذَا الْبلد الْمحـ ونْ/ لَقَد رأيت لَيلةَ الثَّامنِ والعشرين/ من
سبتمبر الْحزين / رأيت في هتاف شعبي الْجريح / رأيت خلْف الصورةْ / وجـ ك يا منصورةْ / وجه
لويس التاسع المأسور في يدي صبيح.

فهذا المقطع الشعري الذي يعتمد فيه الشاعر على تكرار القَسم محاكياً القرآن الكريم هو أسلوب ليس فيه إبداع جميل. بل أقل ما يقال عنه استخدام غير ناج للنص القرآني ولو أن هناك الكثير من الأدباء والشعراء يعتبرون الشاعرين درويش ودنقل على قمة الشعر العربي الحديث وخاصة فيما يتعلق بشعر المقاومة وكان الأولى بهم إعطاء النص القرآني قدره وقداسته .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أما الشاعر العراقي أحمد مطر فشعره قائم على توظيف مستويات تناصية مختلفة أبرزها التعالق المرتبط مع القرآن الكريم، إذ وظّفَ التناص لتكوين عنصر المفارقة وإثارة دهشة المتلقي، وجلب انتباهه من خلال الصورة المغايرة التي يفاجئه بها الشاعر، فيجعل المتلقي يستحضر الصورة القرآنية، وصورة الشاعر التي صنعها من خلال صياغته الخاصة، فتنشأ المفارقة من تناقض الصورتين، وهو أمر يجعلنا أمام طريقة متفردة لتوظيف النص القرآني كأداة فاعلة ومؤثرة في المتلقي.

يقول الشاعر : قرأت في القران / " تبت يدا أبي لهب" / فأعلنت وسائل الإذعان / " إن السكوت من ذهب" / أجبت فقري لم أزل أتلو " وتب " / " ما أغنى عنه ماله وما كسب " / فصودرت حنجرتي بجرم قلة الأدب / وصودر القرآن / لأنه حرضني على الشغب .

نلاحظ أن الآيات وضعتْ بين علامات تنصيص، وهي إشارة إلى إن النص الشعري اقتبس من القرآن بشكل حرفي دون تغيير أو تبديل في كلماتها، ليدل على أهمية الموضوع وجديته، فيأتي استعماله في حيز دلالته وإيحاءاته القرآنية نفسها، ويكون الهدف، مد المعنى أو استكمال أبعاد الصورة ، فالشاعر يطرح موضوع كبت الحريات، فضلاً عن القمع الذي تمارسه السلطة .

ويقوم شعر أحمد مطر على توظيف التعبير القرآني للإشارة إلى أن الحقائق التي لا تقبل النقاش لأنها تعاليم سماوية صادرة من صاحب الملكوت المطلق، هذه الحقائق قد تتحول إلى تعاليم مخالفة للقانون ومحرمة إذا تعارضت مع نهج المستبد، ومن ثم رسم مطر صورة لا متناهية للاستبداد، لم يكن ليحققها لو صرح مباشرة بأن هذا الحاكم مستبد، وهي طريقة أخرى للإثارة وظّفها الشاعر من خلال محاكاة القرآن.
إنَّ القرآن الكريم فيه سور وآيات تدعو إلى الثورة على الظلم والطغيان، التي تتوعد أبا لهب.

نتائج البحث :
من خلال مطالعة النصوص الشعرية التي تضمنها هذا البحث يتضح لنا الآتي :

1. حظي القرآن الكريم بنصيب لا بأس به من التناصات والدراسات الأدبية في الشعر .
2. استخدم الشعراء العبارات والقصص اللقرآني لتحقيق غاية مقصودة لتشخيص الواقع الذي يناضل الشاعر من أجله .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

3. يحاول الشعراء من استخدام التناص القرآني تثبيت وترسيخ بعض القيم الوطنية في نفس القارئ وإثارته للتمسك بها قدر طاقته .
4. لا شك في أن الشعراء حين استخدموا هذا التناص قد حدود اللياقة في تصويرهم أحوال الأنبياء كاشاعر محمود درويش عندما يصف نوح عليه السلام بالجبن مثلاً ، وهذا غير مقبول على الإطلاق ولو كان في سبيل الدعوة إلى قيمة معينة يقصدها الشاعر .

القائمة المصادر والمراجع

الكتب :

- القرآن الكريم

١- الآمدي، أبوالقاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الجزء الأول، تحقيق:أحمد صقر، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف، ١٩٧٢م.

٢- البستاني، محمود، الإسلام والفن،الطبعة الثانية، لبنان، بيروت، ١٩٩٢م.

٣- جعفر العلاق، علي، الشعر والتلقي، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧م.

٤- محمد، حسين نجيب ، حياة السيد المسيح (ع) في القرآن الكريم،ط1، بيروت، دارالهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

٥- الخضور، صادق عيسى، التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة، ط1، عمان-الاردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٦- درويش، محمود، ، ديوان محمود درويش(مجلدين)، ط:١٤، بيروت دار العودة، ١٩٩٤م.

٧- دنقل، أمل ، الأعمال الشعرية الكاملة، ط2، بيروت، دار العودة، مكتبة مدبولي،١٩٨٥م.

٨- زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط١، القاهرة:
دار الفكر العربي، ١٩٩٧م

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٩- الزعبي، أحمد، "التناص نظرياً وتطبيقياً"، ط:٢، عمان: مؤسسة عمرية، ١٩٨٩م.
١٠- الصمادي، امتنان عثمان، " شعر سعدي يوسف (دراسة تحليلية)"، ط:١، عمان: مطبعة
الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م
١١- ضرغام، عادل "في تحليل النص الشعري"، ط:١، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات
الاختلاف، ٢٠٠٩م
١٢- عبدالمطلب، محمد، " قراءات أسلوبية في الشعر الحديث"، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١٩٩٥م.
١٣- عزام، محمد، "شعرية الخطاب السردي"، ط:١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٥م.
١٦- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، مج2 ، تحقيق: محمد قرقزان، ط:١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٨م.
١٧- كرستيفا،جوليا،"علم النص"، ترجمة: فريد الزاهي، ط:١، المغرب: دار البيضاء، ١٩٩١م.
١٨- موسى، خليل، " قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر: (دراسة)"، ط١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
١٩- وعدالله، ليديا، "التناص المعرفي في شعر عزالدين المناصرة"، ط١، الأردن: عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
٢٠- هلال، محمد غنيمي، " الأدب المقارن"، ط٣، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، (د.ت).

المقالات والأطروحات:

١- بركة، نظمي، "التناص الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر"، مجلة فكر وإبداع، القاهرة،
العدد٢٠٠٤ ،٢٣م.
٢- جابر، ناصر،"التناص القرآني في الشعر العماني الحديث"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مج 21، ٢٠٠٧ .
٣- جربوع، عزة،" التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر"مجلة فكر وإبداع، العدد. 13 م٢٠٠٢ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٤- حمدان، عبدالرحيم،"التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مج3 ، العدد ٢٠٠٦ .
٥- الزيود، عبدالباسط ، "المتوقع ولا المتوقع في شعر محمود درويش: (دراسة في جمالية التلقي)"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، مج18 ،العدد 37، ١٤٢٧ه .
٦- طه، أحمد، قراءة النهاية: "مدخل إلى قصائد الموت في " أوراق الغرفة"، مجلة الإبداع، العدد الخامس، ١٩٨٤م.
٧- عيد، رجاء، "النص والتناص"، بحث مستخرج من مجلة علامات في النقد، مج5، نادي جدة الثقافي، المملكة العربية السعودية: جدة، ١٩٩٠م.
٨- مرتاض، عبد الملك، "فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص"، مجلة علاقات، جزء1 ، مج1 ، ١٩٩١م.
٩- هلال، عبدالناصر، "توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر في مصر"، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس: كلية البنات، ١٩٩٦م.

المصادر الإنترنتية:

http://.misuratau.edu.ly/alsatil / 8/5 . pdf -1
١- الكلامي، ناجية مولود (د.ت) "التناص القرآني في الشعر الليبي الحديث (علي الفزاني ومحمد
الشلطامي وإدريس بن الطيب أنموذجاً)"، مجلة الساتل.
http:// tolga.maghrebarabe.net -٢
٢- خواجة، علي حسن (٢٠١٠م) "استحضار الغائب: (قراءة في منجز شهاب محمد الشعري)"
http:// alukah.net/Literature_Language -٣
٣- عمارة، إخلاص فخري (٢٠٠٧م) "شروط استلهام القرآن الكريم والاقتباس منه"
http:// almuqri.com/printpage.php-٤
٤- موقع محمد مختار مصطفى المقرئ، "حكم الاقتباس من القرآن"
http://flyarb.com -٥
٥- منتديات فلاي كيت، "فتوى خطيرة حول تضمين آيات القرآن في الشعر وغيره"
http:// alukah.net/Web/literature_language-٦
٦- شبكة الألوكة، "الاقتباس واستلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل"
http:// mexat.com -٧

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com